الحق والحق وحده ....

أحمد الله لك أنك نشأت وظللت صريحًا واضحًا تحب الحق وتجهر به. لا تعرف مداورة ولا التواء، وأنك حر تحب الحرية وتؤمن بها، وأنت مخلص لوطنك ما فى ذلك شك. ولعلَّ أبرز ما فى صفاتك أنك صافى القلب. لا تحمل حقدًا على أحد. بل إنى أجزم أنَّ الحقد لا يعرف الطريق إلى نفسك.

ولقد وليت الحكم فى هذه المرة فوجدت أمامك حملًا ثقيلًا. والظروف المحيطة بك دقيقة غاية الدقة. تعرف موقف بلادك من الإنجليز وموقف الإنجليز من بلادك، وتدرك جيدًا ما وصلت إليه الحال بين الطرفين، وما انعقد عليه إجماع مواطنيك، وتعرف كذلك ماهية أحوالنا الداخلية، وكيف أننا لانزال نخضع للحكم العرفى بغير مسوغ ولا مبرر، وأنَّ الحياة النيابية عطلت عند عمد وسبق إصرار بعد مداورة ومناورة لم يطل الأمد عليها حتى انكشفت للناس. لأنَّ سلفك هكذا أراد، فهو يوم حل مجلس النواب التزم فى ظاهر الأمر نصوص الدستور وأحكامه، فحدد فى مرسوم الحل موعد الانتخابات العامة، بل ويوم انعقاد المجلس الجديد، ثم أوحى إلى بعض وزرائه ما أوحى، فقدموا وثائق ترشيحهم منذ اليوم الأول، ثم تبين بعد قليل من الأيام أنها مناورة فحسب، فلم يكن فى نية سلفك إجراء انتخابات ولا جمع برلمان وإنما كان معتزمًا أن تظل الحياة النيابية معطلة ليستريح ويعيش فى كنف الحكم العرفى هادئ البال وتتسع له فرصة الانتقام من أصدقاء أمسه وخصوم يومه، ولعلَّ ما ردده بعض وزرائه يومًا من أنَّ الانتخابات آتية لا ريب فيها فى أكتوبر المقبل كان أيضًا فصلًا من فصول الرواية التى ظلت أربعة أشهر تمثل على مسرح السياسة فى مصر..

والناس يعرفون عنك أنك لا تعمل لحساب حزبٍ أو هيئةٍ من الهيئات. وأنا أومن بذلك، وأومن بأنك تريد الحق، وأحثك على أن تريده وتريده وحده. والأمة من جانبها لا تريد غيره، وأنت إذا التزمته. وما أشك فى ذلك أرضيت ربك وضميرك ووطنك.

والحق الذى تريده سيهديك إلى الطريق القويم، سيهديك إلى إعادة الحياة الطبيعية للبلاد، فلا رقابة ولا حكمًا عرفيًا، وسيهديك إلى إعادة الحياة النيابية فى وقت أقرب مما يظن الناس، والحق سيجنبك العبث بقانون الانتخاب وبالدستور، وهو سيقف بك عند الأهداف القومية وقفة الوطنى الأبى.

لكن اعلم يا رفعة الرئيس أنَّ هذا الحق لا يحبه كل الناس، فهناك قلة فى البلاد تكرهه وتضيق به. ولا تحتمله ولا تود يومًا أن ترى علمه يرفرف فى ربوع البلاد. وهذه القلة ليست مجهولة عندك بل هى معروفة لديك من قديم. وسيدعوك حيادك إلى التحدث يومًا إلى هذه القلة والاتصال بها سعيًا وراء ضم الصفوف عليك لتحقيق غايتك السامية. ترى هل ستقف هذه القلة معك عند منصب الحق. أشك فى ذلك كثيرًا وأرجو أن أكون مخطئًا أنهم الآن ينظرون إليك شزرًا وأنت ستتجاهل نظرتهم إليك. وستدعوهم إلى الهدى ولكنهم سيتدللون عليك ويضعون شروطًا لو أنك قبلتها لبعدت كل البعد عن الحق، ذلك لأنَّ هدفهم هو محاربة الوفد والقضاء عليه.

ومن أجل ذلك ألحوا فى العبث بقانونى الانتخاب وما به من عيب وإنما العيب فى بعض الأدوات والرجال الذين يشرفون على الانتخاب، وهم سيتحدثون معك عن مجلس الشيوخ ويحرضونك عليه ليشفوا من ذلك المجلس أحقادهم، وهم، وهم، ولا أريد أن أطيل فى عرض ما سيعن لهم من طلبات يتوجهون بها إليك يوم تدعوهم إلى الحديث معهم ليجعلوا من ذلك شرطًا لقبول الأخذ والرد معك.

وأنت لست تعمل لحساب أحدٍ لا للوفد ولا لغير الوفد. وهذا يفهمه ويدركه

كل من له إلمام بسياستك وخطتك وسابق أساليبك فى الحكم. وهكذا ستجد نفسك فى وادٍ والقلة فى وادٍ آخر. ولست أطلب منك إلا شيئًا واحدًا هو أن تكون للحق ومع الحق فاتخذ لنفسك ما تراه متفقًا مع ضميرك وما ترى أنه يرضى ربك، فإن أنت أرضيت ربك فقد أرضيت الأمة من غير شكٍ وليغضب منك بعد ذلك من شاء أن يغضب.

إنَّ تلك القلة لعبت هذا الدور مع سلفك ونجحت فيه لأنَّ الطرفين جمعت بينهما وألفت بين قلوبهما الكراهية للوفد. ولو أنَّ الوفد سلخ فى الحكم أربعة أشهر لم ينل البلاد فيها على يديه خير وبقى يتنقل من فشل إلى فشل لملأت القلة الدنيا صراخًا وضجيجًا. أما والذى قضى هذه الشهور الأربعة العجاف كان من الساعين لهدم الوفد فما على القلة من بأس أن ظل الحكم العرفى وبقيت الرقابة على الصحف واستمر تعطيل الحياة النيابية.

إنك لم تقض بعد فى الحكم إلا أيامًا تعد على أصابع اليد الواحدة. وأنت لا شك فى حاجةٍ إلى الدراسة والبحث فاعتمد على الله.

ولست أبغى من وراء كلمتى هذه إلا أن أحذرك من هذه القلة التى أصبحت علة العلل فى رجوع البلاد إلى الوراء فى جهادها ضد المستعمر وفى استقرار حياتها النيابية، ولست أشك فى أنها ستحاول جاهدة أن تضع فى طريقك العقبات كلما يممت شطر الحق.

هذه نبوءتى أضعها أمامك وأرجو لثالث مرة أن أكون مخطئًا وأن يكون الله قد هداهم إلى سواء السبيل.

إنك قد عاهدت ربك ونفسك على ألا تعمل إلا ما يرضى ضميرك فاوف بعهدك إنَّ العهد كان مسئولًا.